الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

دراسة في سيرته ومنهجه في كتابة التأريخ

Dr. Emad Abdulsalam Raouf: A Study in his Biography and his Methodology in Writing History

أ.م.د.فردوس عبد الرحمن كريم

أ.م.د.كفاح جمعة وجر

Asst. Prof. Fardous Abdul Rahman(Ph.D)

Asst.Prof. Kefah Jumaa (Ph.D)

Mustansiriyah University/ College of Arts / History Department

المستخلص:

يمثل الدكتور عماد عبد السلام حالة علمية وفكرية قل نظيرها ولاسيما في مجال تخصصه، وقد عد استاذاً ومخططاً ومؤلفاً وشكلت مؤلفاته بمجموعها نماذج معبرة عن قدرته على التحليل والاستنتاج ونقد للروايات التاريخية المختلفة، ورسم صورة واضحة للقارئ عن الحدث التاريخي، هذا من جهة ومن جهة اخرى تميز بسعة الافق وغزارة المعلومات، وفضلا عن الأسلوب المثمر وحسن الصياغة.

الكلمات المفتاحية: عماد عبد السلام ، سيرته ، منهجه

Abstract:

Emad Abdulsalam is a peerless scientific and intellectual personage, especially in his field of specialization. He has been a professor, planner and author. His works have consisted of models expressing his ability to analyze. and draw a clear picture of the reader of the historical event, on the one hand, and on the other hand marked by the breadth of the horizon and the abundance of information, as well as the method of fruitful and well-formulated.

Keywords (Emad Abdel Salam, biography, curriculum)

المقدمة:

يعد الدكتور عماد عبد السلام رؤوف احد المؤرخين البارزين ويمثل اتجاهاً متميزا يبين اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق ، وقد عد استاذاً قديراً ومؤلفاً بارزاً وشكلت مؤلفاته بمجموعها نماذج معبرة عن قدرته على التحليل والاستنتاج ونقد للروايات التاريخية المختلفة، ورسم صورة واضحة للقارئ عن الحدث التاريخي، هذا من جهة ومن جهة اخرى تميز بسعة الافق وغزارة المعلومات، فضلا عن اسلوبه المتميز في الكتابة التاريخية.

يحاول البحث الحالي تقديم دراسة علمية من خلال الاجابة عن عدد من الاسئلة التي تتعلق بنشأته ومنهجيته في الكتابة التاريخية وآرائه في منهج البحث التاريخي والهدف من الدراسات التاريخية.

ونتمنى أن نكون قد وفقنا في ايفاء مؤرخنا عماد عبد السلام رؤوف حقه في هذه الاوراق المعدودة، لأن من الصعب أن نتتبع جميع المسالك التي انتهجها، ونبين مختلف نتاجاته التاريخية التي صدرت عنه ،التي لايمكن اختصارها في هذه الصفحات القليلة .

أولاً :نشأته ومراحل دراسته

عند الكتابة عن شخصية عماد عبد السلام رؤوف ، احد رواد الدراسات التاريخية، ولاسيما في ميدان التاريخ الاجتماعي والفكري والثقافي لابد من تتبع مراحل حياته.

ولد عماد عبد السلام رؤوف في بغداد عام1948 م، ويعود نسبه الى ال العطار وهم اسرة عباسية النسب موصلية الاصل من سكنة محلة باب النبي جرجيس، كان جده محمد رؤوف العطار1878) م-1965م (من رواد التربية والتعليم فقد كان مدير لأقدم وابرز ثانوية موصلية، كما عمل في سنة 1927مديراً للمعارف) التربية (في البصرة ، مما يؤكد لنا أن عماد نشأ في بيت سادته اجواء المعرفة والثقافة العامة مما كان له دورا كبيرا في بناء شخصيته) احمد ناجي الغريري ،2005 م، ص (19

اما شكله فهو طويل القامة، ابيض البشرة ، انفه معتدل وشعره ابيض وحليق اللحية والشارب، تمتع عماد بمؤهلات قلما توافرت لسواه، اهمها الذكاء وامتلاكه ذهنية متوقدة ونشطة ، وتميز بروحه الجذابة وشخصيته المؤثرة وبنقاوة القلب .كما تميز بأمانته العلمية ، وحرصه الواضح في اداء واجباته ، لا تفارق البسمة شفتيه، ولاتعرف الضغينة الى نفسه سبيلا، شديد التواضع ، محباً للجميع، وكان انذاك يمتلك مواهب فنية كالرسم .إن الحديث عن مؤرخنا صعب وسهل في إن واحد، وهكذا نجد أنه كان يتمتع بشخصية كاملة النضج واسعة الافق شاملة لمعظم اهتمامات الحياة) احمد ناجي الغريري ، 2005 م، ص . (19

بدأ استاذنا سيرته التعليمية بمدرسة السعدون الابتدائية ، ويبدو انه تنقل في مرحلة الابتدائية الى مدارس عدة إلى أن استقر في مدرسة المأمونية) احمد ناجي الغريري ،2005 م، ص (19 ففي مكتبتها قرأ وطالع كتب الكبار وليس الصغار فقرأ اول الكتب التاريخية الادبية لجرجي زيدان وديوان الكاظمي ومسرحيات احمد شوقي ، وهنا يتضح لنا أن عماد عبد السلام ومنذ صباه كان مولعاً وشغوفاً بالقراءة لزيادة معرفته وثقافته وتنميتها وتطويرها .وعندما سُئِل في مقابلة تلفزيونية الم تفقد طفولتك حينذاك كانت اجابته " ابداً لم افقد طفولتي، ولم اندم على ذلك اذ لم تستهوني العاب الاطفال ولم اجد فيها ما يسر نفسي ويشدني اليها، لذلك انصرفت الى شيء جميل هو التاريخ) " مقابلة تلفزيونية 2013م. (

وبدأ الاستاذ في مرحلة المتوسطة باقتطاع جزء من مصروفه اليومي ليشتري كتاباً في كل اسبوع، ففي هذا العمر المبكر انشأ مؤرخنا مكتبته الخاصة ،التي احتوت على عدد كبير من مصادر التاريخ الاسلامي كالمنتظم لابن الجوزي والكامل في التاريخ لابن الاثير وغير ذلك) احمد ناجي الغريري ،2005 م، ص (21-20

وبانت عليه خلال دراسته الاعدادية علامات التميز والفطنة ، فنشر في تموز1965 م وكان حينها في الصف الرابع الاعدادي أول بحث تاريخي بعنوان) المارستان العضدي (، ثم اتبعه ببحث اخر عن مدارس بغداد في العصر العباسي ، ثم جمع هذه البحوث في كتاب مستقل بعنوان) مدارس بغداد في العصر العباسي . (ودخل استاذنا الكبير في عام1966 م قسم التاريخ في كلية الاداب ليتعمق في

دراسة التاريخ وسبر اغواره على يد اساتذته في الكلية وهم صالح احمد العلي وجعفر خصباك ومحمد الامين وخالد العسلي ومحمد توفيق حسين ومحمد شرع الاسلام ، وقد تميز وتفوق عماد عبد السلام على اقرانه لسعة اطلاعه وجده في القراءة والبحث عن الحقيقة التاريخية ، وفي عام1970 م تخرج من الكلية وكان ترتيبه الاول على قسمه) احمد ناجي الغريري ،2005 م، ص (21

ولم يلبث عماد عبد السلام الى أن سافر الى القاهرة لإكمال دراسة الماجستير في جامعة القاهرة واختار التاريخ الحديث مجالا لدراسته، وكان موضوع رسالته "(ولاية الموصل في عهد ال الجليلي) وبعد مناقشته في اذار1973 م حصل على تقدير امتياز .وبعد عودته الى العراق عين في المجمع العلمي العراقي بعنوان مساعد باحث علمي، واثناء ذلك سجل عنوان اطروحته للدكتوراه في جامعة القاهرة بعنوان " الحياة الاجتماعية في العراق في عهد المماليك1750) م1831 –م (وبعد جمع مادتها في العراق سافر الى القاهرة وبعد ثلاث سنوات وبالتحديد سنة1976 م منح شهادة الدكتوراه بتقدير امتياز) احمد ناجي الغريري ،2005 م، ص (22

وبعد ان عاد من القاهرة عين مدرساً في كلية التربية بجامعة بغداد، وكلف بتدريس عدة مواد، منها تاريخ العراق في العهد العثماني، وتاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، وتاريخ اوروبا في القرن التاسع عشر وغيرها من المواد التاريخية، وفي سنة1980 م رقي الى مرتبة استاذ مساعد، وفي الوقت ذاته جرى اختياره خبيراً في المجمع العلمي العراقي، وفي سنة1988 م ترقى إلى مرتبة الاستاذية، وبقي يمارس التدريس في جامعة بغداد كلية التربية) ابن الرشد (حتى عام2008 م، وبعدها نقل خدماته إلى جامعة صلاح الدين – كلية الآداب بأربيل .

لم يكن عماد عبد السلام تدريسيا فقط بل كان عضواً في عدد من الجمعيات ومنها عضويته في جمعية المؤرخين الآثاريين في العراق، وجمعية العراق الفلسفية، واتحاد المؤرخين العرب والاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، وعضو مؤازرة المجمع العلمي الكردستاني حالياً) مقابلة تلفزيونية، 2013م

من خلال تتبع مسيرة عماد عبد السلام العلمية والتعليمية نجد أنه لم يشعر يوماً مثل سائر حملة الشهادات العليا بأنه بلغ الحد الذي يستطيع الوقوف عنده ، بل ظل يوماً بعد يوم طالباً للمعرفة ومستزيداً للعلم.

ثانياً :تعريف التاريخ ومفهومه وتدريسه عند عماد عبد السلام رؤوف

عرّف عماد عبد السلام مصطلح التاريخ بالقول"التاريخ اذا كان يقصد به الماضي مطلقاً فالتاريخ ليس الماضي، التاريخ هو علم دراسة الماضي ، الماضي حدث لم يصنعه احد، نحن إذا استطعنا أن نسيطر على منهج البحث التاريخي وهو منهج يبنى منذ الاف السنين وحتى الآن أي أن استطعنا أن نمسك هذه الاداة) المنهج (يمكن ان نقترب من الحقيقة ولا اقول أن نصل إليها لأن الحقيقة لايعرفها

إلاالله وهي نتاج لعلاقات معقدة ولا يمكن أن نفهم هذه العلاقات، ونصل إلى الحقيقة . التاريخ بحساباته منهج علمي يمكن أن يوصلنا الى ما يقرب من الحقيقة ، ومن ثم نحن لا نتحمل مسؤولية ان الماضي حقيقيا تماما كما ان الطبيب غير مسؤول ان يكون المجتمع صحيا هو يؤدي عمله وفقا لمنهجه وادواته) "مقابلة تلفزيونية،2013 م (

ويؤكد لنا مؤرخنا بأن التاريخ ليس الا جملة وسائل لدراسة الماضي ، وان الماضي لاينقضي بانقضاء لحظاته ، انما يكون وراء الحاضر اي وراء اللحظة المعاشة آنيا، يدفع الحاضر ويوجهه ويؤثر فيه ويرى ان الماضي كامن فينا يختبئ وراء كل شيء حولنا فيؤثر فينا من خلال تلك الاشياء التي بدورها تدفعها الى المستقبل ، فالتاريخ عملية مستمرة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه او هو حوار متصل بين الماضي والحاضر)حسب الله يحيى الطريحي ،2000 م، ص (107

اوضح عماد عبد السلام رؤوف بأن التاريخ فرض نفسه علماً في العصر الحديث، بما له من طرائق بحث وشروط محدودة استقى من بعد جهود وافرة بذلها علماؤه ونظريات استنبطها مؤرخون وفلاسفة ابان القرنين الاخيرين ،اي انه استوى علما بما له من وسائل في تقصي احداثه وتفسيرها دون ان يكافأ ذلك تفسير النشاط العقلي للمؤرخ الذي يتولى عملية تفسيرالاحداث نفسها، ونتيجة لضعف تحليل ذلك النشاط او العملية الذهنية التي يقوم بها المؤرخ عد مؤرخون وباحثون عديدون التاريخ ضرب من الأدب والفن او مجرد معرفة لاعلوم منضبطة بقواعد وحدود مستندين الى استحالة (تجريب) الحدث التاريخي لاختلاف العوامل الناجمة عن تطور المجتمع الانساني الدائم، وحتى الذين عدوه علماً استندوا في ذلك الى ماله من منهج مستقر نسبياً في التوصل الى الحقيقة مع علمهم باستحالة التجربة في التاريخ ايضاً، فالتجربة هي من مصطلحات العلوم البحتة، وهي تفاعل بين اشياء لها خصائصها النوعية سواء كانت عناصر كيميائية او ارقاماً رياضية،وهي لذلك ممكنة في كل زمان ومكان فإمكان حدوثها مطلق، اما التاريخ فلايبدو كذلك لان التجربة فيه اي اعادة تشكيل احداثه مستحيلة بسبب ان عوامل تلك الاحداث تنجز بسرعة هائلة ، فلايمكن استخدامه في تحضير التجربة نفسها، فالحدث التاريخي كما يبدو محدد بزمان ومكان معين اي انه يسير خلاف لماهو الحال في التجربة الكيميائية او العملية الرياضية) عماد عبد السلام، HYPERLINK , "http://www.alukah/"www.alukah,net,cultre)

ويبين لنا عماد عبد السلام رؤوف اهمية البحث في تاريخ علم التاريخ، فقال لايمكن للمؤرخ المعاصر عند دراسته حقبة من ماضيه ان يكون نظرة ذاتية مستقلة وموضوعية، إذا لم يتجلَ عقل) شاهد (تلك الحقبة ومسجلها الا وهو) المؤرخ (نفسه لذا فقد تمت دراسة تاريخ التأريخ ليس بوصفه تاريخاً لاحد العلوم الانسانية فحسب، وانما لكونه المرأة الاكثر صدقاً في عكس افكار الناس ومشاعرهم تجاه احداث عصرهم وعلاقاته، وان المؤرخ في عصر ما هو ليس مجرد مسجل احداث منفصلة عن ذاته، وانما هو ايضاً شاهد على ذلك العصر من داخله لأنه جزء منه، فدراسة ذاته بفكره واحاسيسه

هو في الحقيقة السبيل الى روح العصر وطبيعته، وتحليل انفعال شاهد العصر هذا اداة لفهم الفعل الماضي نفسه من هذه الناحية وجهان متكاملان لعملية فهم واحدة) عماد عبد السلام رؤوف ، 2009م، ص (12

ثالثاً: عماد عبد السلام رؤوف وآرائه في حركة التاريخ والكتابة التاريخية

بحث عماد عبد السلام في تاريخ حركة كتابة التاريخ ليس في العراق فقط وانما في الوطن العربي ، معتمداً منهجاً يقوم على التحليل والمقارنة بين اتجاهات الكتابة التاريخية في الاقطار العربية خلال القرون الاربعة الاخيرة، وقد شغل اهتمامه موضوع الدراسات العراقية حول تاريخ العراق في العصر العثماني اذ ماقيست بالدراسات الخاصة بالعصور الاخرى، وكتب دراسة تناول فيها اسباب هذا التأخر ومظاهره ، وعرض فيه لكتابات الباحثين في هذا المجال منذ أُسست الدولة العراقية،وحتى عام وضعه للدراسة1990 م، ودعا الى تشجيع هذه الدراسات وتيسير الوصول الى الوثائق الخاصة بالعصر، وتحقيق اصوله التاريخية) عماد عبد السلام رؤوف ،1990 م، ص (10

وعندما سُئِل عن طريقة تدريس التاريخ هل هي صحيحة كانت اجابته أن طريقة تدريس التاريخ هي طريقة سطحية لأنها تقليدية ، ويحفظ النص التاريخي دون وعي أو فهم مع العلم أن من الحب تولد الاشياء، التاريخ يجب ان يكون بالوعي والعلم، يجب ان يحاول المؤرخ ان يحسن عرضه، اذا نظرنا الى السينما التي تنتج الافلام التاريخية السينمائية لماذا تكون مؤثرة وتكسب عامة الناس برغم مبالغتها و مع ذلك تجذب الناس، فإن التاريخ هنا احسن عرضه بأن يستحضر اللحظة التاريخية امام المتلقي، فيكون شيئاً مشوقاً وممتعاً ولايحتاج جهدا كبيرا من الملقي ، وهو نجاح المؤرخ ان يقترب او يقرب متلقيه من الماضي حتى يفهموه ويعوه. ولحظة التواصل مع الماضي هي غاية تدريس التاريخ وإلا لا قيمة له، فما فائدة ان يحفظ الانسان عددا من اسماء الملوك والتواريخ ، اليس من المهم أن يحس هذا الماضي، وأن يؤثر هذا الماضي فيه،و أن يكون قوة دافعة يمكن أن توجه سلوكه، هذه هي الفائدة من الماضي، لأن الغاية من فهم الماضي هو أن يصبح هذا الماضي مؤثراً في داخلنا . وتتكامل الصورة التاريخية بعناية ويتحقق معه الوعي بالماضي، اما حفظ النص التاريخي كمحفوظات هذا مضيعة للوقت) مقابلة تلفزيونية، 2013 م (

يعد عماد عبد السلام احد رموز المدرسة التاريخية الاجتماعية الذين سعوا الى تحديد أسس ومفاهيم ورؤى بحثية خاصة به، وقد رسم لنا الخطوط العريضة لمنهجه التاريخي وفلسفته، حينما سُئِل في حوار صحفي ثمة مناهج تاريخية محددة ... هل يمكن تحديد منهجك ؟ كانت اجابته في قمة التألق الفكري، حينما قال " ليست ثمة مناهج متنوعة في دراسة التاريخ ، وانما يوجد منهج علمي صحيح ، ان يتوصل الى حقائق جديدة، ومثل علم التاريخ في هذا سائر العلوم الاخرى، فكما ليست ثمة مثلها في دراسة التاريخ ايضاً .إن منهج البحث التاريخي هو حصيلة تجارب مؤرخين عديدين خلال مسيرة

الانسانية كلها، كل منهم اضاف الى تجارب سابقيه حتى استوت لنا قواعد هذا المنهج، انما الذي يختلف بين مؤرخ وآخر هي الرؤى التي يرى بها كل مؤرخ الماضي الذي هو موضوع بحثه)" حسب الله الطريحي ، 2000 م، ص (109

وشدد في موضع اخر على هذا بقوله في مقابلة تلفزيونية " هذا المنهج ليس هو اختراع شخصٍ واحد أو اثنين أو ثلاث هو منهج بنى قواعد تميل إلى الثبات لكن هل هناك شيء غير المنهج ، نعم هناك الرؤى ، وأنا اتسلح بهذا المنهج ولكن لي رؤى معينة قد تكون متأثرة بدوافع قومية ، ودينية ، وقبلية وغير ذلك ، هذه يمكن أن تغير من الماضي ، نعم اتخذ هذا المنهج لكن لااستطيع التخلص من النوازع التي بداخلي ومن ثم تؤثر على نوع الرؤى ... وهذا ليس منهجاً وليس المنهج هو المسؤول عن اختلاف البيئات) " مقابلة تلفزيونية ، 2013 م (

إذن كان منهج التاريخ عند مؤرخنا هو اداة واحدة ثابتة لم تتغير، والذي يختلف بين شخص واخر هي وجهات النظر التي تتأثر بالنوازع الفردية ، ويعلل مؤرخنا ذلك بالقول ان المؤرخ انسان وان اتبع منهج واحد فانه يبقى يتأثر ببيئته ويستجيب للتحديات ، ولذلك نجد مؤرخاً ينظر الى التاريخ على أساس أنه صراع طبقات واخر يرى أنه صراع بين افكار وثالث لايرى ثمة صراعا اصلا ... هذه كلها رؤى قد تصح أو تخطئ) حسب الله الطريحي،2000 م، ص (109

سعى عماد عبد السلام رؤوف لدراسة تطور حركة التاريخ في العراق ابان القرون الاربعة الاخيرة، عندما وجد ان جميع محاولات اعادة كتابة التاريخ، قد ركزت على العصور الاسلامية المتقدمة دون دراسة العصر الوسيط، وارجع سبب ذلك الى ان عصور الازدهار الثقافي والحضاري تبقى اكثر جذباً للمؤرخ المعاصر من عصور الركود، نظراً لقيمتها الاخلاقية بوصفها تقدم)مقتديات (لجيل هذا العصر ودوافع تحثه على التأثر بها .

وهنا يحذر عماد عبد السلام المؤرخ من ان يقع وهو يؤرخ لعلمه نفسه في شرك) انتقائية (، غير علمية مع ان تاريخ الامة تجربة لاتتجزأ ولاتنقسم ولا يجوز انتقاء حقبة منها دون اخرى، أو يبرز منها جزء وتختفي اجزاء، لأن مثل هذه التجربة في جوهرها، عملية واحدة متصلة عبر كل الحقب مدمجة الاسباب بالنتائج ،ولايشكل الزمن واعني به الساعة التي اخترعها العالم الفلكي الخارجي، إلا عاملا خارجاً عنها ، وبهذا قدم لنا عماد عبد السلام دراسة مفصلة عن تطور حركة التاريخ في العراق، وقد ذكر جملة من العوامل والمؤثرات العامة التي اثرت في هذه الحركة ايجاباً او سلبا، واثارها على مناهج الكتابة واساليبها .ولعل من المفيد أن نشير إلى أن دراساته سدت فراغاً لحقبه تاريخية طويلة، ولم يقتصر الامر على هذا فقد كان لها فوائد من النواحي الفكرية والنظرية والعملية (عماد عبد السلام ،2009 م، ص (15

وانسجاماً مع ماتقدم يرفض عماد عبد السلام القول بأن التاريخ يعيد نفسه، ويوضح ذلك بالقول ان التاريخ هو نتاج مجموعتين من العوامل، الاولى : هي العوامل الثابتة وتتمثل بالأرض والانسان

فخارطة الارض وتضاريسها لم تتغير منذ عصور سحيقة ،و الانسان بنوازعه وغرائزه وطموحاته لم يتغير هو ايضاً) وان تغيرت وسائله .(اما المجموعة الثانية : وهي كل شيء عدا ماذكرناه ، فمصادر الطاقة متغيرة والافكار متغيرة ووسائل الانسان بالنتيجة متغيرة ، وطالما أن هنالك عوامل متغيرة فلا يمكن القول أن التاريخ يعيد نفسه في أي حقبة من الحقب، وهذا مستحيل ولكن حقب التاريخ)تتشابه (احياناً من جهة اخرى بسبب قوة العوامل الثابتة، وبما ان المسرح الجغرافي واحد، ونوازع الانسان الانسانية واحدة ، فمن الطبيعي اذن ان تكون هناك اتجاهات وردود افعال متشابهة ؟

ثمة فرق بين ان تكون متشابهة، وبين ان تكون متطابقة، حينما نقول ان التاريخ يعيد نفسه، يعني ذلك ان الاحداث والعلاقات تتطابق بعضها ببعض على الرغم من أن المسافات الزمنية لاتفصل بينهما، وهذا لايمكن باي حال ، أما أن تتشابه بعض الظروف، وتتشابه بعض الافعال، أو ردود الافعال فهذا ممكن ومنطقي، .واذا كنت تعني ان بعض الناس يكررون اعمال غيرهم على نحو لايتسم بالعقلانية والفهم، فلا يدل ذلك الا على انهم اغبياء يكررون اخطاءهم دونما تفكير او رؤية) حسب الله الطريحي ،2000 م، ص 109

يرفض عماد عبد السلام تقسيم تاريخ الدول الى عصر ذهبي وعصر اضمحلال ويقول أن هذه التقسيمات اقتبست من علوم اخرى، لأن الحقب في التاريخ تتداخل عوامل قوتها وضعفها ولكنها تظهر احياناً وتختفي أحيانا أخرى، وهذا يشبه مايحصل للانسان فعندما يكون شابا قويا يتغلب على الامراض والاوبئة التي تهاجمه ، ولكن حينما يهرم ويضعف تتغلب عليه الامراض وهذا يشبه ماتمر به الدول، وضرب لذلك مثالا بالدولة العباسية والدولة العثمانية وهي نماذج واضحة على ذلك لان عوامل القوة والضعف موجودة في الدول منذ تأسيسها لكن عوامل القوة غالبة على عوامل الضعف منذ لحظة التأسيس ، وحينما تبدأ عوامل الضعف تعمل عملها، تبدأ بنخر الدول حتى اسقاطها .وهذه وجهة نظر تحليلية قدمها مؤرخنا الى تطور وتحول الدول بين قوتها وضعفها مستنبطاً الدروس ، ومن ثم تحديد الابعاد من حيث الاهمية)مقابلة تلفزيونية، 2014 م(

رابعاً: عماد عبد السلام وهدفه من التاريخ

بين الدكتور عماد عبد السلام ان هدف التاريخ هو فهم ووعي الماضي عن طريق استحضار اللحظة التاريخية لفهم حقيقة ماحدث وكيف ولماذا ؟؟ فالماضي لاينقضي بانقضاء لحظاته وإنما يكمن وراء الحاضر، وإن الحاضر موجود في المستقبل ومؤثر فيه، فإن من المنطقي القول بان الماضي موجود في المستقبل ايضاً بصيغ مختلفة. إننا لانستطيع ان نستغني عن هذا الكامن في التاريخ فهو يقدم القاعدة الاولى لفهم الشعوب بأفعالها وردود افعالها وطريقة تعاملها مع بيئاتها ومع الشعوب الاخرى، واي اغفال لأهمية هذه القاعدة لايمكن ان يؤدي الى تصور ما ينسجم عن هذه الشعوب في المستقبل .إن لكل امة شخصيتها التي هي تراكم مستمر لملايين من اللحظات التاريخية، ومن غير فهم أو سبر

لهذه اللحظات تبقى دراسة هذه الشخصية قاصرة، بل غير ممكنة ، ومن ثم لاتستطيع التنبؤ بأفعالها أو ردود افعالها ازاء أي تحد مستقبلي .

ولم يكتفِ استاذنا بهذا بل أكد ذلك في اكثر من موضع بالقول " أنا مهتم بحركة المجتمعات ليس في العراق وحده وانما على المستوى العربي لأن دراسة المجتمع في الماضي تغريني لأعرف كيف يتحرك المجتمع الآن .ان الغاية من التاريخ هي معرفة كيف يتحرك التاريخ ، ولو عرفت كيف يتحرك التاريخ سأعرف كيف يتحرك غداً، القصد هنا ان دراسة حركة المجتمعات يتبصر سلوك هذه المجتمعات في الوقت الحاضر وربما في المستقبل) مقابلة تلفزيونية، 2013 م)

ويشبه عماد عبد السلام رؤوف المؤرخ في عمله هنا مايقوم به المحلل النفساني الذي يحدد شخصية الانسان من خلال سبر ماضيه، وهو ان لم يفعل يكون قد عجز عن التنبؤ بما سيفعله هذا الانسان بمجرد ان يغادر عيادته . وقد اوضح عبد السلام ان التاريخ ليس مجرد جمع النصوص التاريخية ورصها بسياق معين، او من دون سياق اصلا ، يعني انهم يكتبون تاريخاً، ومع تقديرنا لجهودهم الكبيرة فإن التاريخ بوصفه علماً يتجاوز هذا القدر من الجهد بمدى بعيد، إن جمع النصوص وترتيبها ليست إلا العملية الاولى التي يقوم بها المؤرخ من العمليات المتوالية التي يتخللها عمله، فان عليه ان يحدد العلاقات بين تلك النصوص، ويقابلها، ويتأكد من معانيها الظاهرة والمستترة ، ثم من صحة مضامينها ، وذلك بنقد الرواة ، وتعيين مدى قدرتهم على صدق الرواية، ثم بصياغة ذلك كله في نص جديد والاهم من هذا عليه بعد ان يفرغ من هذه العمليات المختلفة، ان يترك لنفسه فرصة التأمل في معطيات هذه الجزيئات والتفصيلات التي حصل عليها، وهي محاولة جادة للنفاذ الى جوهر حركة الاحداث التي يتصدى لبحثها محققا اقتراباً اكثر من العصر موضوع البحث، وكلما زاد اقترابه منه لاحت الصورة الاكثر قرباً من الحقيقة لمجريات ماحدث في ذلك العصر، وبدا له الماضي متحركاً بشخوصه، واضحاً بعلاقاته، مفعماً بالحيوية، وكأنه ماثل امام ناظريه فعلا .

يقول عماد عبد السلام" حاولت في دراستي ان احقق هذا، أو شيئاً قريباً منه، وبقدر احساسي كمؤرخ بأني اقتربت من عصر ما، او حدث، كانت سعادتي تتضاعف على نحو تنسيني تماما صعوبة الطريق الذي قطعته للوصول الى تلك اللحظة، لحظة الاندهاش التي يحسها الانسان وهو يزداد قرباً من الماضي، بفهمه له، حتى يكاد يراه، او يعيش فيه حسب الله الطريحي،2000 م، ص (108 -107

خامساً : مميزات مؤلفات عماد عبد السلام رؤوف

بعد قراءة مستفيضة لعدد من مؤلفات عبد السلام التاريخية وجدنا أنها تشكل نماذج معبرة عن رؤاه في عرض المعالجات التاريخية ورغبته في رسم صورة واضحة الى حد ما للقارئ عن ابعاد تلك المعالجات، متتبعاً أكثر الاتجاهات حداثة في دراسة التاريخ، وكان متتبعا للماضي مقدرا لضخامة مايحرك التاريخ من عوامل، باحثا عن تلك الخفايا التي لم يلحظها غيره من المؤرخين، مقدرا تأثير

القوى التحتية التي تصنع الحدث، ودور النخب في توجيهه.ودعا الى دراسة ردود الافعال العفوية لتلك القوى في مواجهة تحدٍ ما، ودراسة العوامل الخفية لهذا الموقف او ذلك الفعل،واكد على ضرورة استيضاح حركة الشعوب او الناس العاديين في رسم صورة حدث ما، وفي تقرير نتائجه ايضا كقيام ثورة، او تغير نظام سياسي، او تحرير بلد محتل..... الخ . مالم تكن ملامح الشعب ظاهرة فيها من قبل ، أو أنه كان مختفيا وراء دور هذا القائد العسكري، او زعامة تلك الأسرة ، أو المؤسسة، يشبه ذلك بالقول " ان البحث عن عوامل خفية كهذه يشبه ما يقوم به الجيولوجي في البحث عن الحركات التي تحدث في الاعماق السحيقة من باطن الارض، والتي قد تنجم عنها تغيرات جسيمة على سطحها كانفجار البراكين فجأة، او زوال الجزر او تغير المعالم الظاهرة) "عماد عبد السلام ،1743 م (

والى جانب تسليط الاضواء في مؤلفاته على نمو وتطور العلاقات المركبة بين القوى الاجتماعية وتأثير ذلك في مجمل الحياة السياسية والثقافية ، وبهذا وجدنا انه الزم نفسه باتجاه اجتماعي بحيث لا ينفك قارئ كتاباته عن الوعي بما لهذا العامل من اثر واضح في رسم الحدث التاريخي لديه) احمد ناجي الغريري ، 2005 م، ص (30أذ سلط الاضواء على حقب ومنعطفات تاريخية في غاية الاهمية في تاريخ العراق عامة وبغداد بشكل خاص ابان العصور العباسية والعثمانية ، معتمداً في استقاء معلوماته على مصادر واصول تنوعت كماً ونوعاً ، واختلفت في مضامينها ، وتنوعت معلوماتها و لهذا نجد معظم دراساته جاءت ثرية بأصولها الخطية، والوثائقية وغنية بمعلوماتها النادرة. وقد حرص في دراساته على توثيق معلوماته بدقة ووضوح لا لبس فيه فلا نجد معلوماته من دون سند، ولا استنتاج خال من اسس توثيقية .ويشير بدقة الى الحقائق والاصول التاريخية التي تم الاستناد عليها في عرض هذه الحقيقة .

ولعل من المفيد ان نشير الى ان دراساته تميزت بالأسلوب اللغوي الرصين ووضوح المعنى وحسن الصياغة التي لا تفقد النص التاريخي حقيقته ، فضلا عن بنائها المرتكز على وحدة الموضوع، وتسلسل الافكار كأنها بناء متكامل لا نشاز في وحدة بنائها الفني محققا بذلك انسجاما رائعا قل نظيره.

واخيرا يؤكد لنا عماد عبد السلام رؤوف "ان غاية المؤرخ بوجه عام هو استعادة اللحظة الماضية من جديد لتبدو ظاهرة مفعمة بالحيوية امام اعين المتلقين، ان كانوا من طلبته او قراءه، بمعنى أن نجاحه يكمن في مساعدة اولئك المتلقين على النفاذ بعيونهم الى ماوراء القشرة الرقيقة من الحاضر الذي يعيشونه، ليروا الماضي وراءها بعلاقاته ودوافعه وتفاعلاته لأنهم إن ادركوا ذلك سيكونون اكثر فهما للحاضر واشد وعيا لمكونات هذا الحاضر، بل اعظم قدرة على تغيير هذا الحاضر الى ماهو افضل .ان التاريخ هذا عمل بناء تماما، وليس كما يتصور البعض انه نبش للماضي ، وعيش في زوايا الزمن الزائل) "حسب الله الطريحي ،2000م، ص (109

الخلاصة

توصلنا في بحثنا هذا إلى أن عماد عبد السلام رؤوف كان له دورٌ ريادي في الدراسات التاريخية عامة ، والاجتماعية خاصةً، فقد عد من الرواد الاوائل الذين جربوا حظهم في الكتابة عن الحياة الاجتماعية وهي موضوعات لم يتصدَ لها أحد قبل عماد عبد السلام رؤوف فبحثها بوعي وعمق وشمول، وأنتج لنا دراسات عدة كان له فيها السبق والريادة .

أبدى عماد عبد السلام اهتماماً بعلم التاريخ وتطور حركة كتابة التاريخ فساهم في تقديم دراسة مفصلة عن تطور حركة التاريخ في العراق ابان القرون الاربعة الاخيرة، ورفض القول بأن التاريخ يعيد نفسه وشدد على أن المؤرخ الحاذق بإمكانه أن يعيش اللحظة التاريخية حتى يستطيع رسم صورة واضحة عن الحدث التاريخي وتحديد ابعاده من حيث الاهمية، وسعى قدر الامكان الى البحث عن الحدث وليس سردية الحدث.

وقد تمتع عماد عبد السلام بمؤهلات قلما توافرت لسواه ، وقد امن بالنزعة العلمية وادرك بانها السبيل الوحيد للوصول للحقيقة ، لذلك اتسمت معظم كتاباته بحيادية كبيرة لتدل على توخيه الموضوعية والعلمية في دراسة الاحداث وتحليلها وفق اسس منطقية .

انمازت مؤلفات عبد السلام العلمية بأنها خصصت لدراسة وتغطية موضوعات تاريخية لم يسبق أن درست من مؤرخين غيره، فقد عني بدراسة حركة المجتمعات خلال حقب مهمة من التاريخ العراقي تمتد مابين العصور العباسية والعثمانية وخاصةً الحقبة التاريخية التي عرفت بالحقبة الغامضة من تاريخ العراق لقلة المصادر عنها، وكان يردد دائما" أن التاريخ ليس تاريخ وإنما تاريخ مجتمعات لأنها تبصر سلوك المجتمعات في الوقت الحاضر وربما تتنبأ بسلوكها في المجتمع"، وحرص في دراساته على توثيق معلوماته بدقة ووضوح لا لبس فيه معتمداً الاصول الخطية والوثائقية والالتزام بالمنهجية التاريخية والاصالة.

المصادر والمراجع

احمد ناجي الغريري

١- الدكتور عماد عبد السلام رؤوف اربعون سنة في دراسة التاريخ وكتابته ، النجف ، 2005 م .

حسب الله يحيى الطريحي

2- المؤرخ الدكتور عماد عبد السلام ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد30 ، السنة 5 ، تشرين الاول ، 2000م .

عماد عبد السلام

٣- رؤية في كتابة التاريخ ، مدونة لعماد عبد السلام ، على موقع الانترنت HYPERLINK "http://www.alukah/"www.alukah,net,cultre ,

عماد عبد السلام رؤوف

٤- التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني ، ط 1، دار الوراق للنشر المحدودة ،2009 م عماد عبد السلام رؤوف

٥- تطور الدراسات العراقية حول تاريخ العراق في العهد العثماني ، بحث القي في ندوة الدراسات التاريخية في العراق ، الواقع وافاق المستقبل ، 16 – 13 اذار1990 م .

٦- مقابلة تلفزيونية مع د .عماد عبد السلام ، قناة بغداد الفضائية ، برنامج) في عمق المالوف (بتاريخ.2013 / 10 /31